

بين الحقيقة والخيال

- ٣ -

صفحة من محاسن القرآن

للهيئة عبد اللطيف المغربي

المفتش بوزارة المعارف

أظننا شهر الصيام فبسط على النفوس المؤمنة سلطانه ، وضرب حولها نطاقاً من خشية الله وعظمته ، وغمرها بضروب من صادق اليقين ، وفتح لها أبواباً من المعرفة المشرقة ، وطالعها بالإنابة إلى الساحة المطهرة : ساحة العمل الصالح والزاني لله ابتغاء ما عنده من ثواب مدخر ، ونعيم مقيم . وكان لابد للناس بعد يوم طال بياضه وكثرت جهوده ، من ليل معاقب يطلقون فيه النفوس على صفائها ، ويأخذون فيه بالمتع المباحة ، ليجم النشاط على العبادة ، وتدوم القدرة على الطاعة وفي ليلة من تلك الليالي الباسمة ، دفعني الشوق إلى دار من تلك الدور الشرقية القديمة ، التي يتجلى فيها جمال الشرق وكرمه : من أفنية فسيحة ، وغرف رفيعة ، تتجاوب في جوانبها روائع الفن ، وتتسع في محيطها الأرائك لعلية القوم وأشرافهم وعلمائهم وأدبائهم وتجارهم ؛ فيسمرون صدرأ من الليل ، يقطفون من ثمر الحديث ألواناً ، وهم على أحسن ما يكون : طيب نفس ، ووفرة أنس ، ورقة شمائل ، وعذوبة منطق ، وبراعة مناظرة ، وحسن مساجلة ؛ وتلك صفحة من صفحات الاجتماع الشرقي تكاد المدنية تحوها ، ويد التجديد تطمس معالمها وتعمث بها كما عبت بكثير من عاداتنا فأحالتها إلى صور شوهاء لا شرقية ولا غربية . فعلى تلك العصور سلام الله ، وعلى تلك المجالس العلية دمة الأسمى تنحدر إليها في جوف الماضي

ولما أخذت مكاني من القوم في بهرة المجلس ، سمعت صوت قاري عذب كأنه

صوت البلبل إذا بسمت له الطبيعة ، ومشى إليه الربيع في أجل حاله الموساة ،
نجا بأروع نغم ، وأرق إيقاع . وقد شاء صاحب الدار أن يفرد لقارئه مكاناً
في أبهاء المنزل قريباً من المجلس ، فكان موفقاً في اختياره ، حتى يدع لمن أراد
الاستماع إلى قوله مناه ، ومن أراد لهو الحديث هواه .

وكان بين شيوخ المجلس شيخ وقور رائع الطلعة ، عظيم اللحية ، حسن
السمت ، طويل الصمت ، حديد البصر ، يحيل في الحاضرين طرفاً سريع النقلب ؛
وكان يأخذني بصره حيناً بمدح في كثير من الحذر والترقب ، فحدثني نفسي
أنى رأيت هذا الوجه من قبل . وانتفض المجلس انتفاضة انصرف على أثرها نصف
أهله ، خلا بجوارى مكان أسرع إليه ذلك الشيخ المهيب وأتى تحتية إلى ،
فعرفت في نبرات صوته وحسن جرسه ووفرة أدبه وجيل خلقه ، دلائل فضل ونبل
تمت إلى النفس بسالف ألفه ، وسابق معرفة ، ولكنى لم أستطع أن آخذ برأي
قاطع في أمر صاحبي حتى ترى إلينا صوت القارى وهو يقول « الله الذى خلق
السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر
لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر
دائمين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » فأخذت صاحبي رعدة شديدة لجلال هذا
القول ، وسميته يردد : ما أظلم الإنسان لنفسه ولغيره . وما أعدلنا معشر الطيور ؛
فقلت له وما أنت والطير ؟ فبدت على بحياه ابتسامة رقيقة ثم على معنى خفي في
نفسه ، وتطوى وراءها سرّاً يعتلج في صدره ؛ ثم قال أليس من الظلمة أن نلتقى
غير مرة ونأخذ بأطراف الأحاديث ، حتى إذا ضربت الأيام بينى وبينك بقليل
ليلها ونهارها أظلك النسيان ، وأنا لا أزال على عهد المودة مقياً ؟ فقال هذا القول
من نفسى كل منال ، وحدهته بنظرة فاحصة فإذا هو صديقى « المصفور » فأقبلت
عليه أصاحه وأعتذر إليه وأمنحه ودى وعطاني حتى رضى عني ، وما كان ذلك
منى إلا اشتغال بال ، والتواء حال . ثم خضنا فى الأحاديث :

المصفور — لقد ملك على إجماعى وقيد سمعى هذا القرآن الكريم الذى رفع

للبلاغة أعلى منار ، وصور البيان في أجمل صورة ، وشأى العرب اللسان المقاول بأسلوبه الفرد الممتاز الذى لا يشبهه أسلوب إنسانى ، وتحداهم أن يمارضوه فوققوا أنامه عاجزين ، وألقوا إليه قياد التسليم ، وظل معجزة الدنيا تنهاوى الأيام في ظلاله ، وتماقب على أنواره ، وهو لا يزداد إلا رفعة وروعة ، وجدة وبهجة ، فتبارك الله رب العالمين

أنا - لله درك يا أديب الطير ، طالبا سرنى ذوقك وأعجبني حسن تقديرك للأمور ، ووزنها بمقيار العدل والحكمة ، وتلك طبيعة فيكم يا معشر الطير ، لقد زهكم الله عن الموامل النفسية : من بغض وحسد وتنافس ، فأصبحتم تنظرون إلى الأمور بعين البصيرة الصافية لا يحول بينكم وبينها شائبة من شوائب الهوى ، فجاءت أحكامكم صادقة ، وممايبكم صحيحة محكمة

المصفور - هل افترى أحد من الناس الذين سمعوا القرآن وغلب عليه هواه فتلقاه بنير ما تلقينه به من التقدير وعظيم الإعجاب ؟

أنا - لقد كان من دلائل عظمة القرآن أن يكثر حساده من العرب وغيرهم ، فقال قوم من العرب إنه سحر ، ومنهم من قال إن محمداً الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم قد افتراه ؛ وأتى بمد هؤلاء من يزعمون أن أسلوبه غير معجز وقد كان في مقدرة العرب أن يمارضوه ، ولكن الله صرفهم عن ذلك فلم يفعلوا . أما سمعت بمد هذا سخفاً ؟ وهكذا يتوالى المداء للقرآن على مر المصور لحاجة في النفس

المصفور - حقاً إن ما تقوله لمعن في الغرابة ، متناه إلى أبعد حدود الدهشة ؛ إنى لأفهم أن العرب الذين وصفوا القرآن بأنه سحر موتورون ، وقد قالوها كلمة يرفهون بها عن أنفسهم ويلتمسون لها المذرة من القصور عن محاكاة القرآن . أما أولئك الذين قالوا إنه مفتى ، والذين قالوا إن أسلوبه غير معجز ، فما عذرهم في ذلك ؟ إنى لا أجد أبلغ في تبريع هؤلاء المأفونين من أن أدعوم إلى شيء واحد إن كانوا من أرباب البيان وأهل البصر بالبلاغة وفنون القول : أیرون فيما بينهم وبين أنفسهم أن أسلوب القرآن كأسلوب رسول الله صلى الله عليه

وسلم في أحاديثه ورسائله ؟ إن من أراد أن يتعرف وجوه الشبه بين كلامين ، عرضهما على الناحية الفنية من وجوه البلاغة ورائع الخيال وحسن التصوير وقوة الصوغ وغزارة المعاني ، وبغير هذه الناحية لا تصح لقائل دعوى ، ولا يستقيم له منطق ، ويقع في المذر البغيض . إني أشهد الله أنهم يشعرون إن كانوا من رجال البيان وأهل الفن بعظم الفرق بين كلام الله جل شأنه ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما يشعرون بعظيم الفرق بين كلام الرسول وكلام غيره من الفصحاء ، وهم لا ينكرون في أنفسهم أن القرآن تفيض عليه إشرقة نور إلهية ، وأن الحديث تغمره مسحة بشرية نبوية ، ولكنهم مصابون بآفة الهوى . وأزيد الذين قالوا بالإعجاز بالصرفة بياناً وتقريباً : هل رأوا فيما قرءوا من بيان عربي أسلوباً جديراً بأن يقرن إلى أسلوب القرآن في عظمته وروعته ومجويده وابتكاره ؟ إنهم بلا ريب لن يجدوا شيئاً لهذا الأسلوب ، ولو وجدوه لتقدموا به إلى الناس وعقدوا به الموازنة بين الكلامين ، فأقاموا حججهم ، وأصابوا بفتنهم . وما كان لهم أن يظفروا بهذا ، ولا سبيل إلى تحقيق مرادهم بغير هذا إن كانوا جادين فيما يقولون . ولكنهم صرعوا وحادوا عن طريق الحق ، لعجزهم عن إيراد الكلام البليغ الذي يشبه القرآن ، فأرسلوها قضية تنطق بضعفها وصغارها ، وتشهد لهم على مر الزمان بما انطوت عليه نفوسهم المريضة من البغض المردى والحسد المهلك . ألا ساء ما يحكمون

أنا — إذن ماذا ترى في قول بعض الباحثين في الأدب : من أن العرب في الجاهلية كان لهم نثر فني ؛ وأن شواهد ذلك النثر ليست صحيحة لأنها في جملتها من صنع الرواة ، وأن القرآن شاهد من شواهد النثر الجاهلي يصح الاعتماد عليه ، وأن العرب ما فهموا القرآن إلا لأنه يشابه ما كان عندهم من النثر ، وهم لا يخطبون بغير ما يفهمون

المصفور — ليس لهذا المنطق دلالة ولا استقامة ، وإنما هو كلام ذكر فيه شيء وأغفل شيء آخر ، وقضيته سيق بعض مقدماتها وأغفل البعض الآخر ، فجاء الاستنباط غريباً صارخاً ناطقاً بتخاذله وضمفه . ألا ترى أن القائل حين

قدر القرآن صورة للنثر الفني الجاهلي ، كان ينبغي له برأبالحق والفن ، ونزولا على دواعي المنطق المستقيم أن يعرض صوراً من هذا النثر الفني الجاهلي ثم يوازن بينها وبين القرآن في أساليبها وألفاظها وحسن صوغها وسأى معانيها ورائع خيالها ، فإذا استقامت له الموازنة صحت قضيته ، ورفعها البحث العلمي إلى مصاف الآراء الجديرة بالتقدير .

ولكنه حين علم أن هذه الموازنة لا يمكن أن تتم لجأ إلى أن النثر الجاهلي الذي يرويه الناس مصنوع في جملته ، وبذلك يكون النثر الفني الجاهلي الصحيح مفقوداً فلا يطالب بالموازنة بينه وبين القرآن ، وله بعد ذلك أن يرسل قضيته كما يريد ؛ وهذا من أغرب ما يكون ؛ فكيف يصح في العقل صحة حكم بلا دليل ؟ وإن البحث العلمي الحديث ليوحي بالوقوف بالقضايا العلمية التي لم تنهض الأدلة على إثباتها ، دون أظهارها للناس ولو كان صاحبها معتقداً بلا ريب صحتها ، حتى تقوم الأدلة على صدقها . وليس يصح في شرعة العقل والمنطق أن يكون النثر الجاهلي قد فقد دفعة ، بل لا بد أن تغت من قطعة أو أكثر من مطاردة الأيام ، وإذن يكون في مجموع النثر الجاهلي المصنوع بمض نثر جاهلي صحيح ، فهل رأى أحد من الذين قرءوا هذا النثر (الصحيح والمزيف) في بطون الكتب ما يشبه القرآن في بلاغته وقوة صوغه وروعة أساليبه ؟ إن أحداً من الناس لن يجد هذا النثر ، وقد عجز عن العثور عليه طالبوه منذ قرون خلت ، وإذن فلا دليل على هذه القضية ، وستظل كذلك ضعيفة وأشد ما يلقاني بالدهشة قول هذا الباحث الأديب « فلا مفر إذن من الاعتراف بأن القرآن يعطى صورة صحيحة من النثر الفني لعمد الجاهلية ، لأنه نزل لهداية أولئك الجاهلين ، وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون »

ومغزى هذا أن العرب ما فهموا القرآن إلا لأنه صورة صحيحة لما عندهم من النثر وإلا ما فهموه ، وعلى هذا فكل من فهم كلاماً وجب أن يكون ذلك الكلام صورة مشابهة لكلامه وإلا ما فهمه ، وهذا قول ضعيف مردود لا يقبله العقل والمشاهدة والتجربة ، فأنما أفهم شعر شوقي وحافظ ، فهل يجب أن يكون شعري كشعرهما ؟ ويطربني نثر المتفولطى الكاتب الرقيق ، وأنتقل به في رياض أنيقة ،

ولا أستطيع أن أحاكمه أو أورد أقرب موارده ، وأسمع القطعة الموسيقية المذبذبة
فأصبح في عالم الخيال ، وتبلغ بي أسى منازل السرور ، ولا أقدر على صوغ لحن
من ألحانها ، وأرى الصورة الزيتية وضاء مشرقة تنطق بأرقى محاسن الفن
ومباهجه ، فتتهز لها جوانب النفس طرباً ، ولا أوفق لدخول خط من خطوطها ، فهل
ترى كيف برزت هذه القضية تهالك اعياء ، وتنبو عن مذاهب العقل والنطق
والبحث الحديث !

ولقد وفق العرب أيها الصديق إلى فهم القرآن عن طريق فطرتهم الصافية
وسليقتهم العربية ، أكثر مما فهموه عن طريق أدمغة فحسب ، وإلا لكان لكل
أعجمي برع في لفهم أن يفهم القرآن كما فهموه ، وليس ذلك صحيحاً ، فنحن قد
تحررنا من سلاسل عربية تنقلت بها الأيام ، وأتقنا لغة العرب فقها وصناعة ،
ولا تزال مع هذين الأمرين نلاقى صعوبة في فهم أسرار القرآن ، ونبذل جهداً في
تذوق محاسن إعجازه ، ولو كانت اللغة وحدها كافية في فهم أسرار القرآن لكاننا
نفهمه فهماً تاماً لأول وهلة من سماعه ، كما كان يفهمه العرب المطبوعون ؛ وليس
الأمر كذلك كما ذكرت لك .

فالعرب لهم من هدى اللغة إلى فهم القرآن هدى الفطرة العربية الموروثة عن
جمال الصحراء ، وخفة الروح ، وصفاء النفس ، وحرية النشأة . ألم تر إلى ما يروى
من أن بدويًا سمع قارئاً يقرأ قول الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما
جزاء بما كسبا نكالا من الله » ثم أخطأ فقال : « والله غفور رحيم » ففزع
الأعرابي لذلك وقاطع القاري منكرًا عليه هذا الاضطراب وهو لا يحفظ القرآن
فقطن القاري وقال : « والله عزيز حكيم » .

فأشرقت أسارير البدوي وفاضت نفسه سروراً وقال : هذا ما ينبغي أن يكون .
هذا مقام يصدق ليس الحكم فيه لغة هنا ؛ إنها كانت تقبل مثل القول الأول
مادام جارياً على قانون الكلام وأصول القول ؛ وإنما مرجع الأمر كله هنا إلى
الدوق والفتنة ، وهما الدعاءتان اللتان اعتمد عليهما العرب في فهم القرآن بمد
دعامة اللغة .

فالعرب المطبوعون هم أقدر الناس فهماً للقرآن بفطرتهم ، ويليهم الذين تملوا العربية صناعة فأجادوها . والذين لسانهم غير العربية لا نصيب لهم من فهم أسرار القرآن وإعجازه . وقد عرض الامام الباقلاني لهذا الموضوع بكلام لا بأس بإيراده قال : « قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من المعجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن ، إلا أن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك ، فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله وقرعوا على ترك الانيان بمثله ولم يأتوا به تبينوا أنهم عاجزون عنه ، وإذا عجز أهل ذلك اللسان ، فهم عنه أعجز ، وكذلك تقول : إن من كان من أهل اللسان العربي إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعدونه فصيحاً بليفاً بارعاً من غيره ، فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره ، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء »

وهنا نقف وقفة ننقد فيها قول الامام الباقلاني فتوافقه على رأيه في أن من كان لسانه غير العربية من المعجم والترك وغيرهم ، لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بالتوقيف والسمع ، لفقد الوسيطتين إلى ذلك وهما اللغة وذوقها ، ونمازضه في قوله : « إن من كان من أهل اللسان العربي ولم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ... فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن » فان هذا غير الحق . والواقع أنه يصيب من العلم بإعجاز القرآن نصيباً يلائم مقدار ثقافته ومنزلته من العربية ، وهو بلا ريب أنفذ بصرأ في هذا الأفق من الأعجمي المحض . وإني لضارب لك مثلاً قريباً : هأنذا رجل تفقت العربية ولا أظن أني بلغت الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام كما يرى الامام ، ومع ذلك أشعر من نفسي بمقدرة على فهم كثير من أساليب القرآن ، وأتذوق صوراً ليست بالقليلة من محاسن إعجازه ، وكيف يمتثل أن يسوى أعجمي لسانه غير العربية بمن كان من أهل اللسان العربي ولم يبلغ الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ؟

ثم استطرد الامام الباقلاني فقال : « فأما من كان قد تنامى في معرفة اللسان ووقف على طرقه ومذاهبه ، فهو يعرف القدر الذي ينتهى إليه وسع التكلم من الفصاحة ، ويعرف ما يخرج من الوسع ويتجاوز حدود المقدرة ، فليس يخفى عليه إيجاز القرآن ، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر ، وكما يميز بين الشعر الجيد والردى ، والفصيح والبديع والنادر والبارع والغريب » وإنى لموافقته على قوله هذا محتفظ برأى في أن من يعرف العربية صناعة كهذا الذى وصفه الامام لا يحسن أن يفهم إيجاز القرآن فهما عميقا صحيحا كالعرب المطبوعين على اللغة وذوقها من الرعيل الأول ، فإن اللغة قد استحال وصارت صناعة تكتسب ، وقد ترامت إلى ذوقها العام شكول مختلفة من النافع والضار ، بالفتح والاختلاط وامتزاج الأجناس ، ومحال أن يتكافأ ذوقان : فطرى أصيل ، ومكتسب دخيل . أنا — لله أنت يا أديب الطير : كم من يد لك تسديها إلى العلم ، وجولة صادقة في ميدانه تتكشف عن جلاء وحقائق وصدق بحث .

ولما قرَّيانه وهذأت شقشقتها ساد السكون وطال الصمت بعد هذا الإجماع الذى لحق صديق المصفور ، وتجلجلى صوت القارى فى أروع مظاهره وحلاوة إيقاعه ، فنظرت المصفور مطرقا برأسه ممعنا فى التفكير ، ثم أسارى وجهه وما يتضح على مقاطعه من تأثر وإشراق ؛ على أنه يعانى أمرا جديرا بالنظر والتقدير ، حين كان القارى البارع يتلو قول الله عز وجل : « إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر . إنه كان بعباده خيرا بصيرا » فأومأ إيماء مفاجئة خفق لها قلبي ، واعتدل فى مجلسه وطوقنى بنظرة طويلة تبدو من خلال صفائها دخيلة نفسه ، وكذا الطيور لا تعرف كتمانها وليس لها سر مستور كالإنسان ، ولا تحمل ضغنا ولا هما وإنما تنظر إلى الحياة من جانبها السار الفياض بأنواع الجمال والنبطة ، فلا تراها إلا منتقلة صائحة بأناشيد البهجة والحبور ؛ وإذا صاحبنى يقول : أسمع ما ختمت به هذه الآية من ختام يمد غاية فى الانسجام والملاءمة لمعناها ؟ وهو « إنه كان بعباده خيرا بصيرا » بعد أن ذكر أنه يعلم أحوال عباده وأنه يجرى أرزاقه عليهم وفقا لما تقتضيه مصالحهم وأحوالهم فييسطه لمن يشاء ويقدره لمن يشاء على كثرة عددهم

لا تخفى عليه في هذا السبيل منهم خافية ، ثم بين أن أحوالهم ومضالهم معلومة له في السر والعلن وهذا منتهى الإحاطة والشمول بالختام بكلمة « خير » الملائمة للسر ، وكلمة « بصير » المناسبة للجهر ، وهذا غاية البلاغة
أنا — كأنك تقصد أن فواصل القرآن ملائمة تمام الملائمة لما يقدم قبلها من معاني الآيات

المصفور — هذا الذي أقصده ، ولست أعلم أنكم يا معشر الأنس تسمونها فواصل ، ولقد نهى هذا القاريء الكريم بقراءة هذه الآية إلى هذا المعنى الذي لم أفطن إليه من قبل . فله جزيل الشكر

أنا — هذا طراز جديد من البحث رائع معجب ، فهل لك أن تزيدني في هذا السبيل بياناً فقد شوقني إليه

المصفور — إن الأمثلة تتداعى في ذهني وتتكاثر على واني لذا كر بعض مايجول في صدري ، استمع إلى قول الله تعالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ، والله سميع عليم » لما كان الحلف يتعلق بقول ونية ختمت الآية بكلمة « سميع » الملائمة للقول ، وكلمة « عليم » الموافقة للنية . ثم استمع إلى الآية بعدها « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلیم » إنك ترى هذه الآية قد اشتملت على نوعين من اليمين : اللغو وهو ما لا عقد معه كالذي يسبق به اللسان أو ينطق به صاحبه جاهلاً معناه ، ويمين الجد الذي صاحبتة النية وبه تكون المؤاخذه ، وقد ختمت الآية بكلمة « غفور » الملائمة للأول غير المقصود ، وكلمة « حلیم » الملائمة للثاني ، فالمراد أن الله حلیم لا يعجل بمؤاخذه صاحب هذه اليمين ليبقى طريق التوبة مفتوحاً أمامه . وهذا من أعجب ما ترى من أساليب القرآن التي تفيض بهذه الفواصل الرائعة البالغة أعلى ذروة من السمو البلاغي

وإني لما رأيته من طريقك إلى معرفة أسرار الفواصل أزيدك شيئاً آخر . قال تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعيمًا بكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » فتأدية

الأماني إلى أهلها ، والحكم بين الناس بالإتصاف ، عمل يتضمن أقوالاً وأفعالاً ،
فتمت الآية بكلمة « سميع » الموافقة للأقوال ، وكلمة « بصير » المناسبة للأفعال .
ولو ذهبت بك استقصى أسرار الفواصل لطال في الطريق وعظمت على الشقة ،
ولكني أكتفي بما سردت لك وفيه الكفاية ، لتذوق ما تريد من أسرار الفواصل
بالتقاس إليه

أنا - أشكر لك هذه المنة التي أسديتها إلي العلم والأدب . وكان الوقت قد
حان للانصراف فقمنا ذاهبين ، حتى إذا كنا في منتصف الحديقة بين الأشجار مال
صاحبي إلى ظل شجرة قد تجمع على يمين الساري لكثرة الأضواء الواقعة عليها
من اليسار ، فاشمرت إلا بصوته المذبذب يميني ويخفق أجنحته في الهواء ،
وانطلق في سواد الليل يشق طريقه إلى عشه ، وأنا مقيد النظر إلى هذه الجهة ،
معجب بهذا الصديق العظيم الذي مرتني بصحبته الأيام

عبد اللطيف المغربي